١

الجزء الأول



مقالات هادفة...

للمهندس ابراهيم بن عبدالرحمن آل كلثم الصيعري

مقالات
هـــــــادفة
(الجزء الأول)

للمهندس

ابراهيم بن عبدالرحمن آل كلثم الصيعري

ح ابراهيم بن عبدالرحمن ابراهيم آل كلثم ، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل كلثم ، ابراهيم بن عبدالرحمن بن ابراهيم
مقالات هادفة للمهندس ابراهيم آل كلثم الصيعري - الجزء الأول.
/ ابراهيم بن عبدالرحمن بن ابراهيم آل كلثم .- الدمام ، ١٤٤٢هـ
٦٨ ص ؛ ..سم

ردمك: ٦-٦٣٣٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- المقالات العربية - السعودية أ.العنوان

ديوي ٠٨١   ١٤٤٢/٢٧٩٥

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٢٧٩٥
ردمك: ٦-٦٣٣٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

قائمة المحتويات

إهــداء

أهدي

إلى جميع القراء الكرام

هذه المقالات الهادفة التي استخلصتها

من خلال تأملي لواقع الناس والحياة

مقـدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

نشاهد في كل يوم الكثيروالكثير من الأحداث والمواقف من واقع الناس والحياة، ويختلف الناس حيال تلك المشاهد باختلاف اهتماماتهم ومقاصدهم وقدراتهم، فمنهم من تمر عليه كأحداث عادية لا تسترعي اهتمامه ولا يتوقف عندها ليتأملها، ولكن المتأمل في واقع الناس والحياة يجد الكثير مما يستدعي التوقف عنده ليتأمله ويحلله فيستخلص منه الفوائد والعبر، وهذه بعض من مقالاتي التي عبرت بها عن بنات أفكاري وأحببت أن أشارك بها قرائي الكرام، وقد ارتأيت جمع ما كتبته من مقالات تحليلة لهذا الواقع وحفظها في سلسلة كتيبات اسميتها "**مقالات هادفة**" على أمل أن يجد فيها القراء الكرام ما يمكن أن يُستفاد منه وأن يجعلها الله نافعةً ولا يحرمني أجرها، وهذا هو **الجزء الأول** من هذه السلسلة.

كورونا والإنسانية

تسعى حكومات العالم جاهدةً في معركتها ضد جائحة كورونا بكل ما أوتيت من إمكانات للسيطرة عليها و وقف انتشارها، فوجدت نفسها بين أمرين أحلاهما مر، إما اتخاذ إجراءات مكلفة على مستوى الدولة والفرد أو فقدان السيطرة على الوباء، فكان القرار كما يقال: و داوها بالتي كانت هى الداء، فكان القرار بحظر التجول تدريجياً بدءً من الالتزام بالحظر ذاتياً وانتهاءً بالحظر الكامل إجبارياً.

هنا برزت مسائل إنسانية، إذا أن هناك فئة من المجتمع سواءً مواطنين أو وافدين ممن يسعون لكسب رزقهم يوماً بيوم قد تقطعت بهم الأسباب، حتى أنهم لا يجدون قوت يومهم أو أجرة مسكنهم ودفع فواتيرهم كما سمعنا وشاهدنا في بعض الفيديوهات، وهنا نقول لأهل الخير تفقدوا مَن حولكم مِن المحتاجين وتذكروا قول رسول الله ﷺ : ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به.

و في مثل هذه الأيام العصيبة يتميز أصحاب التضحيات الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة عن ذوو الجشع الذين يستغلون الفرص، كما يبرز فيها الذين تهمهم وتشغل بالهم مشاكل المسلمين ومصالحهم.

العقائد و المعتقدات

من الناس من يبحث عن الحقيقة والمعتقد الصحيح متجردين من أية مؤثرات خارجية ولو كان آباؤهم كما في قول الله عز وجل على لسان سيدنا ابراهيم عليه السلام: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [الأنعام - ٧٤] إلى قوله تعالى: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام - ٧٩]

غير أنه غالباً ما تُشكل العقائد والمعتقدات خطأً أحمر لدى كثير من البشر لإيمانهم الشديد بما يعتقدون، وغالباً ما يكون هذا مما وجدوا عليه آبائهم كما في قوله تعالى: بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍۢ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ [الزخرف - ٢٢].

ومما لا شك فيه أن من يريد الخير للناس يحب لهم الهداية فيسعى لدعوتهم لما يعتقد بأنه الصح والصواب وذلك استجابةً لأمر الله ورسوله ﷺ، ولكن الدعوة وقبولها لهما شروط، نذكر منها:

أسلوب الدعوة

يجب أن تكون الدعوة بالتي هي أحسن، والهدف والغاية إرشاد الناس لما فيه خيرهم وصلاح دينهم ودنياهم وأخراهم، من غير إلحاح ولا إكراه فليس على الداعي هداية الناس فالبلاغ والهداية

بيد الله وحده لقوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [يونس - ٩٩]، ثم لا بد من اختيار الوسيلة المناسبة والتحلي بالحكمة والصبر وسعة الصدر.

اختيار المفتاح المناسب

أذكر أنني ذات مرة طمعت في إسلام حاضنة الأطفال التي كنت أضع أطفالي عندها إبان فترة ابتعاثي للدراسة في أمريكا، وذلك لِما رأيت فيها من طيبة وحسن خلق، كان اسمها "سو رندن" وكانت امرأة نشيطة تعتني بنفسها وبيتها وتعتاش على حضانة الأطفال بالرغم من كبر سنها فقد كانت آن ذاك في الـ ٧٣ من العمر بينما كنت أنا في بداية العشرينات من عمري.

المهم أنه ما إن بادرتها بالحديث حول الإسلام حتى قاطعتني بكل ثقة وحزم واحترام قائلةً: أنا مقتنعة بديني واحترم كل الأديان، استوقفتني عبارتها فقد وجب علي احترامها واحترام معتقدها وإن كنت لا أقره ولا أؤمن بصحته، ولقد اشعرتني عبارتها بعجزي عن اقتحام اسوار تفكيرها، وما ذلك إلا لأني لم أجد المفتاح المناسب أو لم أحسن استخدامه، فلكل قلب وعقل وفكر مفتاح يناسبه، فلا تحاول فتحه ما لم يتأكد لك أو يغلب على ظنك أنك تمتلك المفتاح المناسب لفتحه، فقد يوصد الباب في وجهك بشكل نهائي بمجرد فشلك من المحاولة الأولى.

وكم من قصة دعوية نجحت في هداية الكثير من الناس بتوفيق

من الله ثم معرفة الداعي لمفاتيح قلوب من يدعوهم، ولا شك أن القدوة الحسنة والمثال الطيب واحترام الناس وعقولهم ومعتقداتهم وعدم التقليل من شأنهم من أقوى المفاتيح إلى قلوبهم، وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل: ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [النحل - ١٢٥] .

ومن الدعاة الذين تعرفت عليهم أحد الأمريكان السود الذين دخلوا في الإسلام فحسن إسلامهم وأصبحوا دعاة متمكنين في الدعوة لدين الله، وهو يعمل في التدريس بإحدى الجامعات بالسعودية، ويرتدي الزي السعودي كاملاً من العقال وحتى النعال المعروفة بالزبيرية، وقد كان شعاره في الدعوة هو البحث عن المفتاح المناسب لكل حالة.

التجرد من الهوى والاتباع الأعمى

ذات مرة كان صاحبنا الداعية الأمريكي مدعواً لحضور ملتقى في فندق مطار الظهران القديم، وعند ذهابه هناك وجد في الاستقبال رجل أمريكي من العرق الأبيض وقد كان قمة في الأخلاق وحسن الاستقبال مما دعا صاحبنا إلى أن يطمع في إسلامه فلما أراد الدخول بالأسلوب الدعوي المباشر، رد عليه الرجل بكل أدب وحزم مثلما ردت علي مربية الأطفال، موضحاً قناعته التامة بمعتقده مع احترام الأديان الأخرى، وهنا

عرف صاحبنا مفتاح الرجل وأدرك أن مفتاحة قريب جداً فتوقف صاحبنا ليُغير أسلوبه بما يتناسب مع المفتاح المناسب، ورد على الرجل بقوله: لا أريد أن أقنعك بديني ولكن لكونك رجل مثقف أحببت أن أهديك بعض الكتيبات للإطلاع على ديننا وثقافتنا، فرحب الرجل بذلك وأخذ الكتب التي أعطاه إياها صاحبنا.

يقول صاحبنا: بعد بضعة أشهر ذهبت لألقي محاضرةً في أحد المخيمات الدعوية لأفاجأ برجل يلبس اللباس الأفغاني يقوم إلي ويحضنني، ولما لاحظ أنني لم أعرفه أخبرني بأنه ذلك الرجل الذي كان في الاستقبال بالملتقى الذي أقيم في فندق مطار الظهران القديم، وهكذا كان لاستخدام المفتاح المناسب بعد توفيق الله خير الأثر.

ونستخلص من هذه القصة عِبرتين، الأولى أهمية البحث عن المفتاح المناسب لكل شخص، والثانية أهمية التجرد، فالرجل لو لم يكن متجرداً وهو يقرأ تلك الكتيبات، لما هداه الله إلا أن يشاء هدايته بما هو أعلم به.

البحث عن الحقيقة بنية صادقة

كذلك كما في قول الله تعالى: ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام - ٨٨] ، فإن الله إذا علم من العبد صدق النية في معرفة الحق واجتناب الباطل فإنه يدله على ذلك ويسخر ويسهل له الأسباب، ومن ذلك

هذه القصة العجيبة التي كنت شاهداً عليها، إذ دعاني أحد الزملاء لحضور وجبة عشاء على شرف أحد الرجال الهندوس الباحثين عن دين الحق، حيث جاء به الله لنلتقي به ويعلن إسلامه.

بدأ الرجل روايته بقوله: نشأت هندوسياً ولكن لم أكن على قناعة بالمعتقدات الهندوسية، كما أنني كنت معجباً بالعادات الإسلامية حتى أنني علَّمت أبنائي في المدارس السعودية باللغة العربية حتى أنهوا المرحلة الثانوية قبل أن يعودوا إلى بلادهم الهند لاستكمال دراستهم الجامعية، ويقول: لم أُسلم ولم أفكر في التحول إلى دين الإسلام على الرغم من أنني أمضيت من عمري قرابة ١٨ عاماً في السعودية بالإضافة إلى عامين آخرين في إحدى الدول الخليجية قبل أن أقفل عائداً بشكل نهائي إلى الهند وقد عقدت النية على أن لا أعود مرة أخرى للعمل في الخارج.

كان هذا هو مراد الرجل، ولكن كان لله مراداً آخر، ففي أحد الأيام كان الرجل جالساً في بيته بالهند وبيده موزة يقوم بإطعامها لابنته الصغيرة، وبعد أن انتهت ابنته من أكل الموزة أخذ الرجل يبحث عن منديل أو ورقة ليلف بها قشرة الموز، فلم يجد غير صفحة من صحيفة فَلفَ القشرة بها ورماها في سلة المهملات، ومن ثم توجه خارجاً من البيت.

أثناء وجود الرجل خارج المنزل ورد اتصال على التليفون من شخص يريد التحدث إليه، ولما لم يكن صاحبنا موجوداً في البيت أراد المتصل ترك رقم هاتفه ليتصل به صاحبنا حال

عودته، فقامت زوجة صاحبنا بالبحث عن ورقة لتسجيل رقم المتصل فلم تجد غير تلك الورقة من الصحيفة التي لف بها زوجها قشرة الموز فاستخرجتْها من سلة المهملات وكتبت الرقم عليها.

بعد أن عاد زوجها إلى بيته أخبرته بما حدث، فعاود الاتصال بالشخص المتصل، وبينما هما يتحدثان وإذ بعينه تقع على إعلان في الصحيفة عن وظيفة في السعودية، فيا سبحان الله لقد كان هذا الإعلان عن هذه الوظيفة هو الذي قاده للعودة للسعودية لينطق الشهادتين ويدخل في دين الله، فيا ترى من الذي خطط لكل هذا ؟ !!! ، إنها حكمة الله الذي يعلم النيات وما في الصدور.

وفي الختام تذكر قول الله تعالى: لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ ... [البقرة - ٢٧٢].

افتعال المعارك وإنهائها

لا يوجد ما هو أسهل من افتعال المعارك ولا أصعب من إنهائها، قد تبدأ بكلمة أو فعل عفوي غير مقصود يتلقفه جاهل أو سفيه، وقد تأتي من سفيه لا يُقدر عواقب الأمور فيتلقفُها جاهل أو سفيه في الجانب الآخر، وللأسف فغالب الناس لا تفرق بين المحسن والمسيئ، فتُعمم الردود على كل من ينتمي للجانب

الآخر سواءً كانت فئة أخرى من المجتمع أو شعباً آخر من الشعوب، فالخيرُ يخص والشر يعم.

وهذه الطبيعة السيئة لا يختص بها شعب بعينه أو فئة دون أخرى، بل إنها مشكلة عامة تكاد أن تعم العالم بأسره وخصوصاً حيث ينتشر التعصب ويقل الوعي العام، مما يتيح للجهال والسفهاء من كل طرف بالتراشق حتى تعم الكراهية بين الجميع، ومما يزيد الأمور سوءً وتعقيداً هو ما تقوم به وسائل التواصل الاجتماعي من سرعة انتشار للأخبار السيئة كانتشار النار في الهشيم، وحين يسعى العقلاء لاحتواء الموقف قبل أن تصل الأمور إلى ما لا تحمد عقباه وتخرج عن السيطرة، فإن أصواتهم غالباً ما تضيع بين المُتراشقين فلا يُسمع لهم، بل قد يتعدى الأمر إلى ما هو اسوأ من ذلك ...

جيل البلاي ستيشن

كان الناس إلى عهد قريب قبل أن تنتشر وسائل الترفيه الإلكترونية يجتمعون كباراً وصغاراً، فيتعلم الصغار من الكبار القيم والمبادئ والعادات الحميدة ليس بالكلام فقط بل من خلال المشاهدة والممارسة الفعلية بالإضافة إلى ما يستمعون إليه من الروايات الحقيقية التي سطرها رجال وخلدتها أجيال، لا من خلال حكايات ومسلسلات خيالية لا تحمل من القيم والعادات إلا ما هو دخيل على مجتمعاتنا.

وشيئاً فشيئاً بدأت تغزونا تلك الأجهزة التي تحمل الخير والشر معاً وذلك بحسب ما تُسخر وتُستخدم له، فعندما دخل التلفاز إلى حياة الناس في بداية هذا الغزو الإلكتروني حدث تغييراً محدوداً في العلاقات الاجتماعية، وذلك لأنه في بداية الأمر لم يكن التلفاز قد انتشر وذلك بسبب قلة الإمكانات لدى الناس في ذلك الحين ومحدودية القنوات وساعات البث، ثم ما لبث أن تغير الأمر حيث غزا التلفاز غالب البيوت إن لم يكن كلها، حتى وصل الأمر في وقتنا الحاضر أن أصبح لدى كل فرد في بعض البيوت تلفازه الخاص في غرفة نومه، كما أصبح البث على مدار الساعة وكثرت القنوات ذات التوجهات المختلفة، والتي منها ما تسعى لاختراق المجتمع وإفساده إما سعياً وراء الكسب المادي أو خدمةً لأهداف أخرى مشبوهة.

ثم بعد ذلك تشعبت وتعددت تلك الوسائل حتى أصبح لدى كل شخص جهاز يحمله بيده فانعزلَ به عن مجتمعه واستبدلهُ بمجتمع افتراضي من الأصحاب من خلف الشاشات لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يعلم عنهم ولا عن أخلاقهم وأفكارهم شيئا مما أوقع الكثير منهم في مصائب لا يعلمها إلا الله.

وهكذا يتضح مما سبق ذكره وجود خطر على تنشئة هذا الجيل فكرياً بسبب ما يتلقاه من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وأجهزة اللعب المسماة "بلاي ستيشن" في معزل عن رقابة الأهل ومجالسة الصالحين، ناهيك عن السهر وإضاعة الأوقات ليس بالساعات فقط بل بالأيام وكلها من العمر، فلا يستفيد الشاب من أوقاته لا في عبادة، ولا في طلب علم، ولا حتى في

طلب رزق، كما لا يخفى ما لتلك الأجهزة والوسائل من تأثير على الصحة بسبب الجلوس دون حراك لفترات طويلة ينتج عنها الإصابة بالخمول وضعف العضلات والسمنة وأنواع الأمراض التي تغزو الجسد شيئاً فشيئاً، ولعل أولها مما يشتكي منه أبناء هذا الجيل هو ضعف النظر.

فهل من مُدَكِرٍ ... ؟ !!!

كلام في الميزان

وجدت نفسي ذات مرة بالقرب من أحد البيوت، وكان البيت قد قارب على الانتهاء من البناء، شدني مظهر البيت فهممت بأخذ جولة عليه من الداخل من باب الاطلاع والفائدة، وحينما اقتربت من المدخل لمحت رجلاً كبيرا في السن يتجه نحوي مسرعاً، فهممت بالابتعاد حيث لم تبدو هيئته مريحةً بالنسبة لي، غير أنه ناداني وسألني عما أريد، فأخبرته، فدعاني إلى الدخول، لقد كان كل ذلك أمراً عادياً ليس فيه ما يدعو للاستغراب، حتى قال فيما قال، ولست أذكر ما الذي دعاه لقول ذلك: جلد ما هو جلدِك جره على الشوك، نعوذ بالله من ذلك.

فاجأتني مقولته هذه ولم تجد قبولاً في نفسي، غير أني لم أشأ الدخول معه في نقاش، حيث لم يبدو لي في حينها بأنه ممن يمكن الدخول معه في أمر كهذا، واستحضرت حينها قول

رسول الله ﷺ : لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه، فما أخطر ما قد يوقع المرء نفسه فيه، ومن ذلك قوله ﷺ : إنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالى مَا يُلقِي لها بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّه بهَا دَرَجاتٍ، وَإنَّ الْعبْدَ لَيَتكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعالى لا يُلْقي لهَا بَالًا يهوي بهَا في جَهَنَّم.

النظرة الجزئية والشاملة

يحكم بعض الناس على الأمور من خلال نظرة جزئية قاصرة، إما لأن المشهد غير مكتمل أو لأن المعلومات المتوافرة لديه غير كافية، فتأتي أحكامهم مجانبة للصواب.

وهنا أضرب مثلاً بموقف لربما صادفه أغلبنا وقد صادفته بنفسي أكثر من مرة، إذا بينما أكون جالساً في السيارة أو الحافلة ألاحظ أنها بدأت تتدحرج، فإن كنت في مكان السائق أجد نفسي أضغط على مكابح السيارة لوقف تدحرجها، وبعد برهة من الزمن يتضح لي بأن السيارة المجاورة هي التي تتحرك، كيف حصل ذلك ؟! ، بكل بساطة لقد كان السبب أن العين لم ترى غير الحركة النسبية بين السيارتين فترجمَها العقل بهذا المعنى، وما أن تتسع نظرة العين حتى تشمل ما حول السيارة من أرض أو أبنية وغيرها حتى تتضح الحقيقة للعقل.

وسبحان الله، بينما أنا أعد لهذه الخاطرة وإذ به يصلني مقطع

تمثيلي لأحد الفلاحين من شرق آسيا بينما هو يسير على الطريق و إذ به يمر من جانب سيارة متوقفة على جانب الطريق، وبينما هو يتأملها و إذ بالسيارة تتدحرج على الطريق، حاول إيقافها بما أوتي من قوة ولكن بلا جدوى، فأخذ يتلفت باحثاً عن شيء يضعه أمام عجلاتها لإيقاف تدحرجها، فوقعت عيناه على بعض الحجارة وبالفعل وضع بعضاً منها أمامها فتوقفت السيارة، حينها شعر براحة النفس على عمله الطيب هذا وانطلق متماً لمسيره، وما إن مر من عند مؤخرة السيارة و إذ به يشاهد رجلين يحاولان عبثاً دفع السيارة للأمام دون جدوى إذ أنها لا تتحرك نتيجةً لما وضعه أمامها من حجارة.

فالعبرة هنا هي الوقوع في الحكم الخطأ من خلال النظرة الجزئية غير الشاملة، ومما لا شك فيه أن الحكم على الأمور فرع من تصورها.

ممرات الرعب

تم في بعض البلدان إنشاء ممرات مرعبة، معلقة على ارتفاعات شاهقة، تخشى السقوط منها وقد بدت لك الأرض من خلالها على بعد سحيق أسفل منها، فترى أناس ممن يعتقدون في أنفسهم القدرة على تجاوز ذلك التحدي يحاولون عبورها وقد بدا التباين بينهم، فمنهم من يسير بكل ثقة عابراً حتى النهاية، ومنهم من لا يكاد يقف على قدميه من الخوف وهو يحاول التشبث بأي

شيء، ومنهم من قد اشتد به الخوف حتى أخذ يحبو وهو يصرخ من الرعب، ومنهم من استلقى على بطنه لا يقدر على الحراك ولا تسمع منه غير العويل، والعجيب في الأمر أن مشاهد الرعب هذه تحدث على ممرات آمنةٍ مُؤَمَّنَة ضد المخاطر، فهي قوية ومثبتة بشكل جيد، وقد اتُخِذَت كافة الاحتياطات الضرورية لحماية العابرين.

ولعل لنا في ذلك عبرةٌ عندما نتأمل حالنا وأحوال الناس يوم يُنصب الصراط فوق نار جهنم أعاذنا الله وإياكم منها، فلا يصل إلى الجنة إلا من ينجح في عبوره، قال تعالى في سورة مريم: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾.

وكما تتنوع قدرات الناس على عبور ممرات الرعب في الدنيا، كذلك هي حال عبورهم للصراط يوم القيامة، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم ما بين الحالتين، والصراط ليس كتلك الممرات المرعبة في الدنيا، فهي مُؤَمَّنَة ضد كافة المخاطر، بينما الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف، به كلاليب تتخطف الناس، فمن خطفته وقع في نار جهنم لا محالة والعياذ بالله، وهكذا فإن أحوال الناس يومئذ، ما بين ناجٍ مُسَلَّم، وناجٍ مخدوش، و مكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يُسحَب سحبا، نسأل الله السلامة.

فأعِدُّوا واستَعدُّوا فلن تَعودوا ...

ممرات الأمان

لأخذ العبرة والمقارنة مع عبور الصراط يوم القيامة إجبارياً لا اختيارياً، كنت قد كتبت مقالةً عن ممرات الرعب الموجودة كحقيقة واقعة في بعض البلدان لمحبي التحدي والمغامرة اختيارياً، من باب التذكير المطلوب كما في قوله تعالى: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [الذاريات:٥٥] .

ولكن وكما هو الحال في كثير من الأحيان فقد يكن لغيرك نظرة مغايرة مع أنها صحيحة ولكن من زاوية أخرى، ومن هذا المنطلق وصلني من شخص أكن له كل التقدير والإحترام التعليق التالي: "ممرات الوصول للأمان تكون أجمل فالنفوس وجلة ومضطربة وتحتاج لما يطمأنها".

ولا أملك هنا غير الإقرار تماماً بصحة وجهة النظر هذه، فأقول نعم نحتاج لهذا التفاؤل في حياتنا، كما نحتاجُ للانتباه لآخرتنا، فالإفراطُ في اتجاه أي منهما لا يصح بتاتاً، فمن يُفْرِطُ في التفائل قد ينسى الآخرة، ومن يُفْرِطُ في الثانية يحرم نفسه بلا شك من الاستمتاع بحياته، وهذا مِصداقٌ لقوله عز وجل: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ [القصص:٧٧]، وكما في قوله تعالى: وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [البقرة:٢٠١].

العنصرية دغدغة مشاعر

يقع غالب الناس في نزاع ما بين الغريزة والمبدأ، وبينما يجنح العقلاء ناحية المبادئ فيُغلبونها على غرائزهم يجنح آخرون إلى الاندفاع خلف غرائزهم، وهؤلاء عادة ما يتم التلاعب بهم واستغلال مشاعرهم ودغدغتها لدفعهم نحو أفعال وأقوال تخدم أهداف من يحركهم لتحقيق مكاسب خاصة على حساب الأوطان والمجتمعات والقيم والمبادئ الإنسانية.

وتندرج العنصرية تحت خانة الغرائز لما تحدثه من دغدغة لمشاعر تفوُّق الذات على الغير وكأنه إنجاز لصاحبه مع علمه بأنه لا يد له في الأمر ولا لغيره، وإنما هو أمر قدري قضاه الله له أو عليه، فهو لا يملك أن يغير من الأمر شيء إن لم يعجبه ما قُدر له أو عليه، فليس له إلا أن يشكر أو يصبر.

وهكذا نجد من يعتقد بتفوقه العرقي على سائر الأعراق، أو تفوق جنسيته على سائر الجنسيات، أو عائلته أو قبيلته أو دينه أو مذهبه .... الخ، وإذا سلمنا بأن له حق شخصي في أن يعتقد بما يشاء أو أن يفخر ويفتخر بما شاء فإن هذا لا يعطيه الحق في إيذاء وازدراء غيره بناءً على ما يرى في نفسه.

ومع أن الدين ليس أمراً قدرياً، إلا أن له نصيبٌ من ذلك، حيث يبدأ المعتقد مع الإنسان بحسب ما يُنشئه عليه والداه أو مجتمعه، ثم بعد ذلك قد تتاح له فرصة الاختياراً إن تيسر له الأمر للاطلاع على الدين الحق، وتكمن العنصرية الدينية في إيذاء المخالف المسالم لمجرد مخالفته للمعتقد الديني.

ومن أسوأ العنصريات التفريق على أساس اللون أو العرق أو الدين عندما لا يكون من باب الاختيار الشخصي الذي هو حق مكفول للجميع، ولكن عندما يكون من باب التفرقة في المعاملة والاحترام والإنسانية، حتى أنها قد تصل لدى البعض حد الإزدراء والإيذاء المباشر أو الضرب المبرح أو القتل بلا ذنب ولا جريرة اقترفَتها الضحية غير اختلافها عن أو مع من له نفسٌ عنصرية ولا أقول فكراً عنصرياً، فذلك بعيد كل البعدعن الفكر والتفكير ولا يصدر إلا عن نفس خبيثة.

ومن العنصرية المبنية على اختلاف الألوان ذلك المنظر المؤلم لرجل أبيض وهو يترجل من سيارته متجهاً نحو رجل أسود طاعن في السن كان يسير على جانب الطريق فأرداه قتيلاً بدم بارد بمسدس كان في يده بلا أي شعور بالذنب أو الندم، وكذلك فإن من يسمع أو يقرأ عن تجارة الرقيق يجد الهول والهويلَ، فقد استعبد الرجل الأبيض أخيه الأسود على مدى قرون، ولا يزال يمارس التمييز ضده حتى بعد أن تم إنهاء العبودية بقرار دولي.

ومن نتائج العنصرية المبنية على اختلاف المعتقد كم رأينا من مشاهد تدمى لها القلوب لصراعات بين أبناء البلد الواحد، يتناحرون فيما بينهم فيُقيمون المجازر لبعضهم البعض على أساس اختلاف المعتقد لا غير، مع أن خالقهم عز وجل وهو أعلم بهم من أنفسهم يوجههم في كتابه الكريم من خلال أمره لنبيه بِأن يخاطب الكافرين قائلاً: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ [الكافرون:٦] ، وكما في قوله تعالى: وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ

[يونس:٤١] ، وكذلك كما في قوله عز من قائل: لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ [البقرة:٢٥٦] .

ولا يقل عن ذلك ما تتناقله الأخبار عن التناحر بسبب العنصرية القائمة على أساس العرق والانتماء القبلي كما حدث ويحدث في دول عدة، وكما كان يحدث بين أبناء قبائل شبه الجزيرة العربية من غزوات متبادلة حتى وحدها الملك عبدالعزيز في كيان واحد وهو المملكة العربية السعودية فعم الأمن والأمان والحمد لله، غير أنه لا يزال بعض الناس يرى أنه وقبيلته خير من الآخرين فيثير النعرات التي هي أساس الفتنة، وفي مثل هذا يقول الله عز وجل: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران:١٠٣] .

وقد شرَّعَت الأمم المتحدة وكذلك دول العالم ومنها المملكة العربية السعودية قوانين تجرم العنصرية بأشكالها المختلفة، ولكن غريزة الشعور بالتفوق على الآخرين لدى البعض تبدو أقوى من أن تهذبها القوانين والأنظمة، كما شاهدنا في الولايات المتحدة عندما قام شرطي أبيض بالضغط بركبته على رقبة متهم أسود حتى فارق الحياة لتشتعل بسببه الفتنة في الولايات المتحدة وتعم الفوضى وُيفقد معها الأمن والأمان وتُنهب وتُحرق الممتلكات العامة والخاصة ناهيك عن وقوع المزيد من القتلى.

لذا وجب علينا كمسلمين أن نحمد الله عز وجل على نعمة الإسلام الذي سبق هذا العالم الموصوف بالمتحضر إلى نبذ

التفرقة على أساس اللون أو العرق، كما في قوله ﷺ : يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقْوَى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ [غاية المرام:٣١٣] ، كما أن سماحة الإسلام لم تقتصر على نبذ التفرقة على أساس اللون أو العرق، بل تجاوزته لتبلغ حد تأمين المخالفين على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم ما لم يكونوا من المحاربين للإسلام والمسلمين، كما في قوله تعالى في سورة الممتحنة: لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) .

فالخلاصة إن أرض الله واسعة وخيره كثير يكفيان الجميع للعيش بسلام والتعَايش معاً على اختلاف الألوان والأعراق والمعتقدات، ومع هذا فإنه ليس شرطاً أن يعني التعايش مع المعتقدات المخالفة الإقرار بصحتها، وإنه لمسكين من يظن أن الكُرْه يجعله أقوى، أو أن الحقد يجعله أذكى، أو أن القسوة والجفاء تجعله إنساناً ذا قيمة ! ، فلنتعلّم كيف نشارك الآخرين آلامهم ومعاناتهم ولنعش معاً ونتعايش معاً لنعيش كباراً.

عقيدة أم هويَّة، قدرٌ أم اختيار

تختلف معتقدات الناس سواءً الدينية أو المذهبية لأسباب موضوعية عدة، منها البيئة التي ينشأ فيها الإنسان، ومنها مستوى تفكير الشخص، ومنها المصالح والمكاسب الشخصية المرتبطة والمترتبة على ذلك، ومنها التبعية الفكرية وعدم استقلال القرار جبرياً أو لا إرادياً، وموضوع بحثنا هذا هو حول الدين والمذهب، هل هو عقيدة أم هويَّة، قدرٌ أم اختيار.

ومما لا شك فيه أن هناك مؤثرات في حياة الإنسان لها دور كبير في صناعة شخصيته وقناعاته، ومن تلك المؤثرات ما يلي:

بيئة النشأة والتعليم





بدايةً يولد الإنسان على الفطرة السليمة التي فطره الله عليها، كما في قوله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [الروم : ٣٠]، وقوله ﷺ: ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ

البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ [صحيح البخاري، رقم ١٣٥٨]، قال ابن الأثير في النهاية: ومعنى الحديث: أن المولود يولد على نوع من الجبلة، وهي فطرة الله تعالى، وكونه مُتهيئا لقبول الحق طبعاً وطوعا، لو خلته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختر غيرها، فضرب لذلك الجمعاء والجدعاء مثلا، يعني أن البهيمة تولد مجتمعة الخلق، سوية الأطراف، سليمة من الجدع، لولا تعرض الناس إليها لبقيت كما ولدت سليمة.

وقال ابن القيم في شفاء العليل: ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل أنه ولد على الفطرة، أو على الإسلام، أو على هذه الملة، أو خلق حنيفا، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل:٧٨] ، ولكن فطرته موجبة، مقتضية لدين الإسلام لقربه، ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه، ومحبته، وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت من المَعَارِض.

فكل مولود يولد على محبتِهِ لفاطرِهِ، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، وتتغير هذه الفطرة بتهويد الأبوين وتنصيرُهما له فيُخرجانه عن الفطرة التي فُطر عليها، ولكنهم لا يُغيرون قبوله، فلو تغير القبول وزال، لم تقم عليه الحجة بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فمن سَلِمَ من تلك المَعَارِض، لم

يتحول عن ذلك إلى غيره، تماماً مثلما يُجبل المولود على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة التي تناسبه وتغذيه.

المستوى الفكري





مما لا شك فيه أن الناس يختلفون في مستوياتهم الفكرية، فمنهم النابغة ومنهم من لا يفقه، ومنهم من هو بين هذا وذاك، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: نَضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمِعَهُ ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامِعٍ [سنن الترمذي، رقم ٢٦٥٧]، وفي لفظ: رب حامل فقه ليس بفقيه، وفي لفظ: ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

إن المتأمل لِجملة الأحاديث الواردة هنا يجدها تحث على السعي لتبليغ الدين للناس لما فيه خير البشرية وهدايتهم، مع التأكيد على أهمية الوعي والفهم الصحيح لنصوص الدين، والحث على البحث عمن هو أفقه و أوعى و أقدر على الفهم الصحيح.

المصالح الشخصية





إن مما يصد الناس عن اتباع الدين أو المذهب الحق وجود مصالح خاصة لهم في اتباع الباطل، فهناك من تمكن من خداع آخرين وتضليلهم فصار له أتباع وأصبح يتمتع بالزعامة فيما بينهم، فكان سبباً كافياً يجعله يتمسك بضلاله على علم منه، ولعل قصة فرعون مع موسى من أبلغ ما يصف هذا النوع من موانع اتباع الحق.

وأما الأتباع فمنهم صاحب الامتيازات الذي يعمل مع زعيمه لنشر الضلال للمحافظة على امتيازاتِه وهو يعلم، ولعل دور هامان وزير فرعون من أبلغ ما يعبر عن هذا الصنف، حيث يغلب على ظني أنه كان يعلم بأن فرعون ليس إلهاً ومع ذلك يتبعه ويعينه على نشر ضلالاته للمحافظة على مكانته عنده.

ومنهم المخدوع الذي يرجع للحق متى ما ظهر له كما فعل سحرة فرعون، حتى أن تهديده بقتلهم وصلبهم لم يمنعهم من إتباع الحق الذي ظهر لهم وقدموا أرواحهم رخيصةً في سبيل ذلك.

وكذلك إن مما يصد الناس عن اتباع الدين أو المذهب الحق الخوف من التعرض لضغوط اجتماعية يخشى معها خسارة لبعض مكتسباته الاجتماعية أو أن يترتب عليها ضرر ما قد يصيبه.

التبعية الفكرية





من الناس من لا يُعمل عقله ولا يستمع للحق إذا أتاه، مكتفياً باتباع وتقليد غيره، سواءً كان على حق أو باطل، إتباعاً وتقليداً أعمى من غير أدنى تفكير، مصداقاً لقوله تعالى في سورة الشعراء: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ

(٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣).

وبطبيعة الحال لن يكون ما بعد الموت كما قبله، ولكن أكثر الناس يجهلون، فبعد الموت لن ينفع أحدٌ أحدا، وقد أخبرنا رب العزة والجلال بما سيكون يوم القيامة من حوار بين من ضلوا عن سبيله، فقال عز من قائل في سورة الأحزاب: يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨).

وأسوأ ما يترتب على هذا النوع من التبعية الفكرية، هو تحويل المشاعر الدينية إلى مشاعر كراهية بين أتباع الأديان والمذاهب المختلفة، فيحلُ القتل والاقتتال مكان التحاورِ والبحث عن الحقيقة بعيداً عن التعصب الأعمى.

قدرٌ أم اختيار

هل هو قدر أم اختيار أن يعتنق الإنسان ديناً أو يتبع مذهبا ؟

في الحقيقة أن الإنسان غالباً ما يكون في مقتبل عمره تابعاً لأهله وبيئته، حتى إذا نضج عقله وبدأ يستقل بفكره فإنه حين ذاك

يختارما بين طريقين: إما أن يلغي عقله ويبقى تابعاً لما وجد عليه أهله وقومه، أو أن يُعمل فكره لُيقيَّم ويُحلل ليميز الصواب من الخطأ.

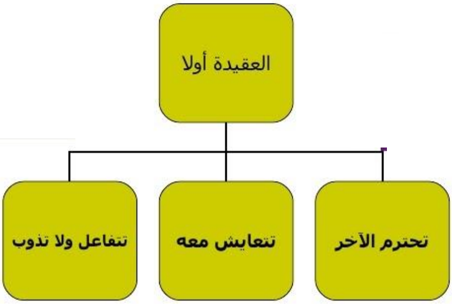



ففي البداية تكون عقيدة الإنسان تبعاً بالولادة، وفي النهاية يجب أن تكون اعتقاداً بالاختيار اتباعاً للدليل وتفكراً في الآيات الكونية بعيداً عن الهوى والمصالح الشخصية.

عقيدة أم هويَّة

من الناس من لم يعد معتقده يُعبر عن ارتباطه بمعبوده ارتباطاً حقيقياً وإن ادعى ذلك، فقد لا تجده مقيماً لشعائر ما يعتقد، وغير ملتزماً بأوامره أو مجتنباً لِنواهيه، ولا يقبل باتباع الحق إن ظهر له في غير ما يتبع، فالدينُ والمذهب لا يعنيان بالنسبة له أكثر من هوية يتعصب لها لارتباطها بانتمائه الوطني أو العرقي.

اعتزاز الأمم على اختلافها بهويتها
الفرق بين الهوية الإسلامية وغيرها



مقالات ذات صلة : هل يسمع أو يبصر الميت



هل يسمع أو يبصر الميت

https://docs.google.com/document/d/1bl1MHhLC3g7aspbMcH4N6jSp2bURDO83hp8mDa8szYA/edit

اختبار ليس كأي اختبار

كشرط للدخول أو الانتقال إلى أية مرحلة دراسية أو علمية أو عملية جرت العادة على أن يجتاز المرء الامتحان المخصص

لذلك، والكل يعلمه ويتقبله بل ويعتبره من المُسلَّمات، وهناك اختبارات من نوع آخر قد يغفل عنها البعض وقد ينكرها البعض الآخر، ومهما يكن فإنها جبريةٌ و حتماً سيخوض غمارها كل مُكلَّف صغيراً كان أم كبيرا، غنياً أم فقيراً، مواطناً كان أم مسؤولا، ألا وهي اختبارات الشكر و الصبر.

ومع أن الله جل جلاله لا يكلف نفساً إلا وسعها فيما يتعلق بالتكاليف التي فرضها على الإنسان من عبادات وطاعات، إلا أن الله قد يبتلي الإنسان ابتلاءً شديداً فإن صبر ظفر برضوان الله تعالى وكان له أجر عظيم على قدر المشقة التي أصابته، فقد ورد في الحديث الصحيح، عنْ عطاءِ بْن أبِي رباحٍ قال: قَالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ: ألَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قَالَ:هذِه المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أتَتِ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ، وإنِّي أتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أنْ يُعَافِيَكِ فَقَالَتْ: أصْبِرُ، فَقَالَتْ: إنِّي أتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لي أنْ لا أتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أخْبَرَنِي عَطَاءٌ: أنَّه رَأَى أُمَّ زُفَرَ تِلكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ، علَى سِتْرِ الكَعْبَةِ. [البخاري : ٥٦٥٢]

ومن الجانب الآخر فإن هناك اختبار يغفل عنه الكثيرون، ألا وهو اختبار الشكر لله، والشكر لا يكون بالأقوال فقط بل ينبغي أن يُترجم إلى أفعال، فشُكر نعمة المال يكون بالإنفاق في أوجهِ الخير، وشكر الجاه يكون بتسخيره لنفع من يحتاج إليه، وشكر القوة يكون بنصرة الضعيف والدفاع عن الحق ... الخ.

وليس اختبار الشكر بأقل من اختبار الصبر وإن بدا كذلك،

فأغلب من يفشل في الاختبار هم من أهل اختبار الشكر، ذلك بأن الشدائد تجعل الإنسان يلجأ إلى ربه لعله يفرج كربته، بينما المنَعَّم قد يغتر بما أوتي فينسبه إلى نفسه وقدرته وعلمه جاحداً فضل الله عليه، فلا يؤدي حقه، هذا إن لم يسيئ استخدامه، وبذلك تكون عاقبته الخزي والندامة، وبما أن الأجر يأتي على قدر المشقة فإن للصابر من الأجر ما يعوضه عما فاته من نعيم الدنيا وصبره على بلاويها، فتتحق العدالة الإلهية عندما تنصب الموازين فتكون أعمال الدنيا في كفة وثواب الآخرة في الكفة الأخرى.

وما أكثر ما يتزلف الناس إلى صحاب النعم من مال وجاه وسلطان وغيره، حتى إذا أخذ الله منه ما أنعم به عليه واستبدل حاله بحال أخرى انفضوا من حوله، وهم الذين كانوا يتمنون مثلما أوتي، قال تعالى في سورة القصص عن قارون وقومه: فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) .

ومما لا شك فيه أن كل ما في هذه الدنيا زائل، لذة نعيمها وقساوة شقائها، ويُنسى كل ذلك يوم القيامة بمجرد غمسة في

جنةً أو نار، كما في الحديث عن أنس بن مالك: يؤتَى يومَ القيامةِ بأنعَمِ أَهْلِ الدُّنيا منَ الكفَّارِ ، فيُقالُ: اغمِسوهُ في النَّارِ غَمسةً ، فيُغمَسُ فيها ، ثمَّ يقالُ لَهُ: أي فلانُ هل أصابَكَ نعيمٌ قطُّ ؟ فيقولُ: لا ، ما أصابَني نعيمٌ قطُّ ، ويؤتَى بأشدِّ المؤمنينَ ضرًّا ، وبلاءً ، فيقالُ: اغمِسوهُ غمسةً في الجنَّةِ ، فيُغمَسُ فيها غمسةً ، فيقالُ لَهُ: أي فلانُ هل أصابَكَ ضرٌّ قطُّ ، أو بلاءٌ ، فيقولُ: ما أصابَني قطُّ ضرٌّ ، ولا بلاءٌ. [ابن ماجه : ٣٥٠٦]

وختاماً ينبغي أن نعلم أن هذه الاختبارات ليس كمثلها اختبار، فبعد ظهور النتائج وتوزيع الشهادات (الكتُب) فإن الناس سينقسمون إلى ثلاث فئات ذكرها الله في سورة فاطر بقوله: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢).

والناجحون في هذه الاختبارات الإلهية ليسوا كسائر الناجحين، والراسبون فيها ليسوا كسائر الراسبين، كما في قوله تعالى في كتابه الكريم من سورة الإنشقاق: يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥).

كما أن مما يميز هذه الاختبارات عن سائر الاختبارات أنه لن

يكون هناك رجعة بعدها لأداء اختبار دور ثاني، قال تعالى في سورة فاطر عن الراسبين: وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) .

وعن الناجحين قال رب العزة والجلال في نفس السورة :جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥).

غير المسلمين في ظل الإسلام

قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا ومن يأبى، قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى [السلسلة الصحيحة:٣١٤١]، وانطلاقاً من هذا الحديث نود سبر العلاقة الصحيحة بين المسلمين وغيرهم في ظل الإسلام وكيفيتها من غير إفراط ولا تفريط.

فبدايةً، لقد نظَّم الإسلام العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين بأروع ما يكون التنظيم، وعُني بهذه العلاقة وجعل لها ضوابط

تضبطها في جميع الحالات من سلمٍ وحربٍ ومعاهدة، و وضعها في نصابها الصحيح، فلا يُظلم غير المسلم في ظل الإسلام ولا تُمتهن كرامته، ويُصان ماله ويُحفظ عِرضه، فما أروعه من تنظيم، وكيف لا يكون كذلك وهو تشريعٌ من رب العالمين خالق المسلم وغير المسلم.

ومن هذا المنطلق سوف نستعرض في هذه المقالة تنظيم الإسلام للعلاقة مع غير المسلمين، وما ينبغي وما لا ينبغي أن تشمله هذه العلاقة من واجبات ومحظورات، وعن كيفية ومستوى هذه العلاقة كما شرعها لنا الإسلام من منظور إسلامي متجرد من المصلحة والهوى ومن العنصرية البغيضة.

بدأت العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين منذ بداية البعثة النبوية، عندما كان المسلمون قلةً مستضعفين في الأرض، إذ انقسم غير المسلمين حيال الإسلام والمسلمين إلى عدة فئات، منهم المُسالم ومنهم المحارب ومنهم من بالغ في عداوته للمسلمين حداً تجاوز كل الحدود، حتى أن رسول الله ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً عفا عن أهل مكة ما عدا اربعةٍ أمر بقتلهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة، وذلك لعِظم جرمهم.

ثم بعد أن قويت شوكة الإسلام، اجتهد المسلمون في دعوة غير المسلمين حرصاً على هداهم ونجاتهم من النار لا يريدون ديناراً ولا درهم غير الأجر والمثوبة من الله وامتثالاً لأمره عز وجل بتبليغ رسالته كما في قوله ﷺ: بلِّغوا عنِّي ولو آيةً وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرَجَ ومَن كذَب علَيَّ متعمِّدًا فلْيتبوَّأْ مَقعَدَه مِن النَّارِ [البخاري: ٣٤٦١].

وبعد أن أصبحت للإسلام دولة وأصبح غير المسلمين رعايا يعيشون فيها وضع الإسلام تشريعاته لتنظيم العلاقة مع غير المسلمين بما يتناسب مع أوضاعهم كأهل ذمة أو معاهدين أو مسالمين أو محاربين أو مداهنين يتربصون بالمسلمين الدوائر كما فعل يهودِ بني قريظة.

المسالمين والمحاربين والموالين للعدو

قال تعالى في حق المسالمين من غير المسلمين وهم الذين لم يحاربوا المسلمين ولم يُعينوا عليهم: لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الممتحنة: ٨].

وفي حق المحاربين من غير المسلمين ومن يعينهم على محاربة المسلمين قال تعالى: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الممتحنة: ٩].

وقد حذر الله من موالاة هذه الفئة تحذيراً شديداً كونها تُلحق الموالي بمن والى، بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة:٥١].

ومما لا شك فيه أن الموالاة تختلف عن التعامل المبني على تبادل المصالح بما يعود بالصالح العام على الإسلام والمسلمين

كافة وليس لفئة على حساب الإسلام وعامة المسلمين، فإن مثل هذا الفعل قد يرقى إلى خيانة الله ورسوله.

وفي حق المسلمين الذين يتسابقون إلى مرضاة العدو خشيةً منه قال تعالى في سورة المائدة: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣).

المعاهدين من غير المسلمين

يقول الله جل جلاله في حق المعاهدين من غير المسلمين الذين لم ينقضوا العهود ولم ينقصوا منها شيئا: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [المائدة : ٤] ، فالإسلام دين الحق لا يأمر بغير الحق، لذا فهو يأمر المسلمين باحترام العهود والمواثيق طيلة مدة المعاهدة، فلا يجوز للمسلم نقض العهود ولا انتقاص شيء منها.

علاقة المسلمين البينية ومع غير المسلمين

تُلخص هذه الآية كيف ينبغي أن تكون الموازنة في العلاقة بين

المسلمين أنفسهم وكذلك مع غيرهم، إذ يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة : ٥٤].

فبعد هذه الآية كيف يمكن للمسلمين أن يتقاتلوا فيما بينهم بينما يتصالحون مع أعدائهم الذين يعملون في الخفاء ليل نهار لإدامة هذا الاقتتال وتغذيته والتكسب منه، فيما يُظهرون خلافه من الصداقة وحسن النوايا، فتجدهم يستميلون هذا ويحاربون هذا، كما في القصة المشهورة، قصة الثور الأبيض والثور الأسود، عندما عجز الأسد من افتراسِهما بينما هما متكاتفان، فعمل على إقناع الثور الأبيض بأن مشكلته فقط مع الثور الأسود فإن تركه يقضي عليه عاشا كصديقين، فتم للأسد مراده حين ظن الثور الأبيض أنه بذلك يشتري راحته، ولكن ما إن انتهى الأسد من افتراس الثور الأسود حتى التفت للثورِ الأبيض يريد افتراسه، فأخذ الثور الأبيض، الذي كان له من اسمه نصيب، يذكر الأسد بصداقتِهما وكيف أنه لم يدافع عن الثور الأسود لأجل هذه الصداقة، ولما أدرك متأخراً بأنه قد وقع في فخ و مكيدة الأسد قال: أُكلت يوم أُكل الثور الأسود، ولكن هيهات أن ينفع الندم.

الذمي و الجار الغير مسلم

بعد أن أصبح للإسلام دولته دخل تحت مظلته من ليس منهم من

غير المسلمين، فلم يتم إجبارهم على ترك دينهم، وإنما تم ترك الاختيار لهم بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية، فمن اختار الإسلام صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومن اختار دفع الجزية ضمن له المسلمون الحياة الكريمة في أمن وأمان وحفظوا ماله وعرضه وعاش في حمايتهم.

وقد راعى المسلمون أحوال غير المسلمين، فالفقير تم إعفائه من دفع الجزية كما فعل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عندما رأى شيخاً كبيراً يتسول لجمع قيمة الجزية فأعفاهُ من ذلك.

وقد خص الإسلام الجار بشكل عام بحقوق لم يستثني منها الجار غير المسلم إلا من بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة والعبادة، فعن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل: يا رسول الله لقد خاب وخسر ، من هذا ؟ ، قال: من لا يأمن جاره بوائقه ، قالوا: وما بوائقه ؟ ، قال: شره [رواه البخاري : ٢٥٥١] ، وقد ورد لفظ الجار في هذا الحديث مجرداً من أي صفة، فلم يحصره في المؤمن ولا في المسلم وإنما أطلق اللفظ ليشمل كل جار سواءً كان مسلماً أو غير مسلم.

وقد جعل الله للعلاقة بين الجار وجاره سواءً كان فرداً أو غير ذلك أهميةً قصوى في الإسلام، كي يكون الناس عوناً لِبعضهم بعضا ويعيشوا في أمنٍ و أمان، ومن ذلك:

حق الجار غير المسلم على المسلم

للجارِ غير المسلم على جاره المسلم مثلما للجار المسلم، باستثناء ما يتعلق بالأمور العقائدية والتعبدية، فليس للمسلم أن يشارك جاره في ذلك، وما عداه فهو مطلوب، فعلى الجار المسلم أن يشارك جاره غير المسلم أحزانه وأفراحه، ويقدم له ما يحتاج من معونة وهبة، فيشاركه مناسبات الأفراح لديه ما عدا الأعياد الدينية لمخالفتها لدين الإسلام، وكذلك يواسيهم في أحزانهم ولكن يختار عبارات المواساة بحيث لا تتضمن الدعاء لميت غير مسلم فقد نهى الله عن ذلك بقوله تعالى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [التوبة : ١١٣].

واجب تعريف الجار غير المسلم بدين الله

مِن حُب الخير للجارِ غير المسلم أن تُحب له الهداية ودخول الجنة امتثالاً لأمر الله بالدعوة لدينه دين الحق من غير إكراه ، كما بيَّن في قوله تعالى في سورة يونس :وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠).

وكما في قوله تعالى :ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]النحل : ١٢٥].

وقوله تعالى :وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ [التوبة:٦]، ففي هذه الآية الكريمة بين الله جل جلاله أنه ليس على المسلم إلا أن يتيح الفرصة لغير المسلم ليسمع كلام الله، وليس عليه هدايته كما في قوله تعالى :لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ... [البقرة:٢٧٢].

الإدارة علم وفن

يختلف الرؤساء والمدراء في أسلوب إدارتهم سواءً للعمل أو العاملين تحت إدارتِهم، فمنهم الموفق المتميز بأسلوب إدارته مما يجعل العاملين معه يُقبلون على عملهم بأنفس راضية وتفاني وإخلاص بما يعود على العمل بالفائدة المرجوة، ومنهم من لا يفقه من الإدارة غير السلطة المطلقة دون مراعاة لمصلحة العمل أو العاملين معه، ومن خلال تجربتي الخاصة، أذكر موقفين على طرفي نقيض، أحدهما يعبر عن طريقة إدارة ناجحة والآخر على النقيض منها.

كان الموقف الأول مع أحد الرؤساء الأمريكان، والأمر يتعلق بشخصه لا بجنسيته بلا شك فهم في ذلك ليسوا سواء، كنا نعمل تحت إدارة هذا الرئيس بأريحية تامة، فلا هو يدقق علينا ولا نحن نترقب انتهاء وقت العمل لأجل الخروج، بل نستمر نعمل حتى بدون مقابل بحسب ما يتطلبه إنجاز العمل المطلوب.

وحصل ذات مرة في أحد أيام شهر رمضان الكريم أن أتى أحد الزملاء متأخراً ما يقارب الساعتين أو يزيد، فذهب مباشرةً إلى الرئيس معتذراً عن التأخير مبررا ذلك بالسهر لأداء صلاة التراويح والقيام، فكان الرد مفاجئاً، حيث قال له: لو لم تخبرني لما علمت، فأنا أتعامل معكم على أنكم مهنيين professionals لا تحتاجون إلى إشراف.

لما أخبرني زميلي بما دار بينهما خطرت على بالي فكرة، فتوجهت إلى الرئيس وعرضت عليه فكرتي وهي استثنائي من ساعات العمل المحدد للمسلمين من الـ ٧ صباحاً وحتى الـ ١ بعد الظهر واستبدالها بالحضور من الـ ١٠ صباحاً وحتى الـ ٤ بعد العصر مبرراً ذلك بظروف الشهر الفضيل وطبيعة عملي التي لا ترتبط بالجمهور وبالتالي الدوام في وقت محدد، ففكر قليلاً ليجد أنه لا ضير على مصلحة العمل فيما يتحقق للعامل ما يجعله مرتاحاً في أداء عمله فوافق دون تردد، فكانت النتيجة أني كنت استمر بالعمل بعد الدوام حتى قريباً من وقت الإفطار وبلا مقابل.

أما الموقف المعاكس فحدث عندما غادرنا هذا الرئيس ليحل محله شخص آخر بعقليةٍ إداريةٍ مختلفة انكشفت من أول موقف، إذ صادف الوقت حينها عطلة الربيع المدرسية فأحببت أن آخذ بعض الأيام إجازة من رصيدي، فرد علي معتذراً بأنه سبق أن وافق لموظفين اثنين ولا يستطيع الموافقة لي إضافةً لهما، فأخبرته كونه رئيساً جديداً للإدارة بأن الشخصين الذين وافق لهما يشكلان فريقاً واحداً وأنه لم يتبقى في فريقهما أحداً، بينما

فريقي نحن الاثنان متواجدان ولم يخرج مِنا أحداً، فتمسك برأيه وأخذ يسوق المبررات التي لا معنى لها ولا علاقة لها بمصلحة العمل ولا راحة العامل، قائلاً: هناك من يدقق علي كما أدقق عليكم. وكانت المعنويات قبل هذا الموقف قد تغيرت ولم تعد كما كانت في عهد الرئيس السابق، فصارحته بحقيقة الموقف، ولكنه لم يأخذ كلامي على محمل الجد.

وقد ثبت أن تحقيق الراحة المعنوية والنفسية للعامل تعود على العمل بالفائدة، وبالتالي فإن أنجح أنواع الإدارة هي الإدارة بالأهداف والإنجازات، فالإدارةُ ليست مجرد متابعة للتقيدِ بأوقات الحضور والانصراف ما لم يكن إنجاز العمل مرتبطاً بالساعات المحددة للدوام.

الاتباع والابتداع



قبل الشروع في الحديث حول الاتباع والابتداع يجدر بنا أن نشير إلى أن الإشكالية تبدأ من تأليه العقل والهوى، قال تعالى: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [الجاثية:٢٣] .

و قال رسول الله ﷺ : خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وقال ﷺ: إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، كما قال ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، وقال ﷺ أيضاً: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.



في البدايةَ لا بد لنا من تعريفٍ محددٍ لمعنى البدعة، فكثيرٌ من الناسِ جعل هذا المعنى مطاطاً وخاضعاً لمعايير عقله وفكره، فتجده يرى أمراً ما بدعةً بينما يرى بأن غيره ليس ببدعةٍ بالرغم من اشتراكهما في نفس العلة، فلما لا يأخذان نفس الحكم ؟ ، ولكنها الزاوية التي ينظر من خلالها لكل منهما !!!.

والبدعة لغةً هي كل ما أُحدث واختُرِع وخُلِق، وشرعاً هي ما يؤتى به مُخالفاً لدين الله، لذا فالبدعةُ هي: استحداث أمر جديد في أمور الدين والعبادة، وبهذا التعريف يخرج ما لا يُتعبد به من أمور الحياة الأخرى عن مجال البدعة المنهي عنها شرعاً، وقد حددها الشيخ بن باز رحمه الله في جوابه على أحد المتصلين للسؤال عن البدعة قائلاً "يعني في الدين هذا هو المراد، ما هو بأمور الأكل والشرب والعادات، لا، البدعة في الدين، الحدث في الدين".

و صدق رسول الله ﷺ عندما أخبرنا في الحديث الشريف قائلاً: أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ

فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ و بلفظٍ آخر : ... وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي، وبهذا يتضح شرط النجاة وهو الاتباع وعدم الابتداع في دين الله.

والمتأمل لحال المسلمين اليوم يجدهم قد افترقوا في مذاهبهم ما بين متشدد ومتساهل (البعد عن الوسطية)، وما بين مبتدع وناكر (مخالفة القرآن والسنة)، وقد أخبرنا رسول الله عن تلك الأصناف، وأرشدنا إلى الطريق الصحيح الخالي من كل بدعة ومن الإفراط والتفريط، وسنعرض لبعض من تلك الأصناف في معرض حديثنا عن البِدع، ويمكن تقسيم هذه الفرق إلى مجموعات بحسب ما يميزها عن بعضها البعض، كما يلي:

الخوارج

مما لا شك فيه بأن الخوارج فئة من المبتدعة بمعناها الشامل، ومن أهم ما يميز هذه الفرقة هو التشدد الذي يصل بهم إلى تكفير المسلمين، ومما يميزهم كذلك هو التشدد في العبادة الظاهر عليهم حتى أننا نحتقر عبادتنا عند عبادتهم، بينما في حقيقتهم فإن القرآن لا يجاوز حناجرهم، وقد أخبر عنهم رسول الله ﷺ في الحديث الشريف بقوله: سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق

السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة ، وقال ﷺ : يَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ أَقْوَامٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَعِبَادَتَكُمْ مَعَ عِبَادَتِهِمْ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

المُفَرِّطْون و المُفرِطْون

مما لا شك فيه بأن الإسلام دين الوسطية كما في قوله تعالى في سورة البقرة: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ (١٤٣) ، فمن اتبع منهج الرسول في الوسطية نجا ومن خالفه هلك، وينقسم مخالفي منهج الرسول ﷺ ما بين متشدد (متنطع) ومتساهل (مُفَرِّط).

فهناك من أخذ يُفرط في أمور دينه بتساهله في إتيان محرماته وتقاعسه عن القيام بواجباته وهو يعلم مقراً بمعصيته، أما لو فعل ذلك إنكاراً منه واعتراضاً على أوامر الله ونواهيه لكفرَ بما أنزل على محمد ولخرجَ من ملة الإسلام.

وهناك متشددون وقعوا فيما نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله: هلك المتنطعون، أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، وقد حدث في عهد رسول الله ﷺ أن: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنّهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النّبي ﷺ، قد غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أمّا أنا فإنّي

أصلي اللّيل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الّذين قلتم كذا وكذا ؟!، أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النّساء، فمن رغِبَ (أعرض) عن سنّتي فليس منّي.

الباطنية والصوفية

من أهم ما يميز الجماعات المبتدعة المندرجة تحت هذين التصنيفين، وهم كثر، تقديسهم للأشخاص وقد يجعلونهم شركاء لله في أسمائه وصفاته وعلمه وقدرته، وكذلك تصديقهم وتبنيهم لخرافات تتعلق بمعجزات تجري على أيدي من يقدسون من الأولياء والصالحين ومن صدَّقوا إدعائهم الصلاح من الدجالين.

ومما يميز الباطنية عن الصوفية هو جعلهم لكلام الله في القرآن معاني باطنةٍ تخالف معانيه الظاهرة، ولا يعلم تلك المعاني الباطنة في زعمهم إلا علمائهم، ومما لا شك فيه أن هذا الإعتقاد الباطل قد فتح الباب على مصراعيه للبدع والخرافات والكذب على دين الله.

المشككون في الحديث والسنة

هناك من الفرق من يدعي الإيمان بكتاب الله كونه محفوظاً، فيما

يشكك في حديث وسنة رسول الله ﷺ بحجة أنها ليست محفوظة كحفظ كتاب الله، يقولون ذلك جهلاً بعلم الحديث وعلم الرجال وحتى علم تفسير القرآن الكريم، وفي نفس ذات الوقت لم يكلف نفسه عناء البحث والتقصي في سبيل التحقق من ذلك الادعاء.

و من يتأمل في ذلك الادعاء قليلا سيجد أن إنكار حديث رسول الله ﷺ والتشكيك فيه لا يتفق أبداً مع الإيمان بكتاب الله مهما سيق في سبيل ذلك من حجج وأدلة، فقد أوجب الله طاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعاً في كتابه الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الحشر:٧]، وقوله تعالى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)، فإذا كان الكتاب هو القرآن فما الحكمة غير حديث رسول الله ﷺ، لذا فمن مقتضيات الإيمان بالقرآن الكريم الإيمان بما أمر به ونهى عنه رسول الله ﷺ.

وبعض من يقوم بالتشكيك في أحاديث وسنة رسول الله ﷺ كالملاحدة والمنافقين يفعلون ذلك بغية الطعن في دين الله لعدم إيمانهم بما أنزل على محمدٍ ﷺ ، وهذا كفر بواح والعياذ بالله، عليهم من الله ما يستحقون.

وهناك من المسلمين من يتم التلبيس عليهم وتشكيكهم في مدى دقة وصحة المنقول عن الرسول ﷺ استغلالاً لقلة علمهم وبعدهم عن أهل العلم واستغنائهم بعقولهم وما يُلقى عليهم من أباطيل

دون أن يكلفوا على أنفسهم عناء السؤال والاستفسار من أهل العلم، وهم بذلك يخالفون أمر الله في محكم التنزيل، حيث قال جل جلاله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل:٤٣].

المقلدون لأهل الملل الأخرى



مما يؤسف له أن نجد من المسلمين من يقلد غيرهم حتى في أمور تتعلق بالعقيدة والشعائر كما في قصة قوم موسى عليه السلام في قوله تعالى: وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف:١٣٨].

وقد أخبر رسول الله ﷺ بأنه سيأتي زمان يقلد فيه المسلمون غيرهم دون تمييز لما يقلدون، كما في قوله ﷺ: لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ ، وقد حدث ونراه في زمننا هذا رأي العين.

الملاحدة والمنافقون

الملاحدة والمنافقون وجهان لعملة واحدة، غير أن الملاحدة

كشفوا عن وجوههم وأعلنوها صراحة فهم يحاربون الدين من خارجه بالتشكيك فيه وإثارة الأباطيل حوله، وقد ذكرهم الله في محكم التنزيل بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [فصلت:٤٠].

بينما ينخر المنافقون في الدين من داخله متدثرين بثياب المسلمين، ولشدة خطرهم على الإسلام والمسلمين فقد نزلت سورة كاملة في القرآن الكريم باسمهم ، كما وردت آيات وأحاديث كثيرة في المنافقين تحذرهم وتحذر منهم، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [الحشر:١١] ، وقال تعالى: بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [النساء:١٣٨].

وقد توعد الله الكافرين والمنافقين ومن يستمع لهم بمصير واحد، ألا وهو دخول جهنم، قال تعالى: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا [النساء:١٤٠].

هل كثرة الأتباع دليل على الحق؟

ولا يغرنك كثرة الخبيث و أهل الباطل، فيوم القيامة لن ينفع أحدٌ أحدا، قال تعالى في سورة عبس: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤)

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ، وفي سورة المعارج: يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) ،

ولكن هل ينفع الندم يوم إذ ؟!، قال تعالى: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا [الفرقان:٢٧]

هذا والله نسأل أن ينفع بما كتبنا وأن يتقبله منا خالصاً لوجهه الكريم.

السَلَف والدَّيْن والوَفاء

قال تعالى في الآية ٢٨٣ من سورة البقرة : فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗصدق الله العظيم.

فالدَّيْنُ أمرُه عظيمٌ؛ لتعلُّق حق الغير بذمة المدين، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: يُغفَر للشهيد كلُّ ذنب إلا الدَّين رواه مسلم (١٨٨٦)، وقوله ﷺ: نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه.

وقد قيل في الأمثال "أصدُق مع الناس وشاركهم أموالهم" وهي مقولة تعبر عن خلاصة تجارب البشرية فيما يتعلق بـ أداء الأمانة ، حيث أصبح من النادر في هذا الزمان أن نجد من

يطلب السلف والدَيْن وفي نيته الوفاء، وليس هذا بمستغرب فقد ورد عن النبي ﷺ عدة أحاديث تحث على الأمانة وتحذر من تضييعها وتصفها بأنها أول ما يُفْقَد من دِيْن الناس، نورد بعضاً من تلك الأحاديث لعلنا نُراجع أنفسنا قبل فوات الأوان:

قال ﷺ : أول ما تفتقدون من دينكم الأمانة [الجامع الصغير:٤٣٣٥] ، كما قال ﷺ : أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ورب مصل لا خلاق له عند الله تعالى [الجامع الصغير:٤٣٤٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: أد الأمانة إلى من ائتمنك [إرواء الغليل:١٥٤٤]، وعن أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ: أد الأمانة إلى من ائتمنك و لا تخن من خانك [الجامع الصغير:٢٤٠].

وعن ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث و حفظ الأمانة و حسن الخلق و عفة مطعم [الجامع الصغير:٨٧٥].

وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن رسول الله ﷺ قال: وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا [رواه مسلم].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا الأمانة إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم صحيح لغيره [الترغيب والترهيب:١٩٠١].

ومن استدان وفي نيته الردُّ فقد تكفل الله بقضاء الدَّين عنه في الدنيا أو الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: مَن أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدَّى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها، أتلفه الله [رواه البخاري:٢٣٨٧].

فالواجب على المدين أن يقضي حق الدائنَ في وقته، ويحرم عليه تأخير القضاء من غير عذر فيستحق العقوبة الدنيوية والأخروية، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: مَطْل الغني ظلم [رواه البخاري:٢٢٨٨] و [مسلم:١٥٦٤].

أما من استدان فعجز وفي نيته الوفاء فعلى دائنيه عدم مطالبته بالدين والتسبب في سجنه وعليهم إنظاره إلى ميسرة، امتثالاً لقوله تعالى: وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢٨٠]، فإن توفاه الله تعالى ولم يسدد دينه فإنه غير مؤاخذ في الآخرة.

وإن كان المدين فقيرًا، فيُستحب للدائن أن يضع من الدَّين الذي له عليه، فيُحسِن كما أحسن اللهُ إليه، فعن كعب بن مالك: أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا كان له عليه، في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعتْ أصواتُهما، حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله ﷺ حتى كشف سجف حجرته، ونادى كعبَ بن مالك، فقال: يا كعب، فقال: لبيك يا رسول الله، فأشار إليه بيده أنْ ضعِ الشطر من دَينك، قال كعب: قد فعلتُ يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: قم فاقضه [رواه البخاري:٤٥٧] و [مسلم:١٥٥٨]، ومما يستفاد من هذا الحديث أنه يُسَن للمسلمين أن يسعَوْا في التخفيف من ديون الفقراء.

كما يجوز للمدين أن يأخذ الزكاةَ لقضاء دينه، إذا كان الدين حالاًّ، وليس عنده مال زائد عن حاجته يقضي به الدين، فهو من الغارمين، فتتناوله الآية، ولا يُطالَب ببيع ما يحتاجه من بيت، وسيارة، ونحو ذلك لقضاء الدين، أما إذا كان الدين مؤجَّلاً، وحينما يحل الأجل يجد ما يسدِّد به الدين، فلا يجوز له أن يأخذ من الزكاة.

ويجوز كذلك للدائن أو المدين تعجيل الدين قبل أوانه، مقابل إسقاط بعض الدين، فينتفع الدائنُ بتعجيل حقه، والمدينُ ببراءة ذمته، وقد أفتى بجوازها حبرُ الأمة ابن عباس، فقد سُئل ابن عباس عن الرجل يكون له الحق على الرجل إلى أجل، فيقول: عجِّل لي، وأضع عنك، فقال: لا بأس بذلك [رواه عبد الرزاق:١٤٣٦٠] بإسناد صحيح.

وختاماً فإن للهدية المقدمة من المدين للدائن أحوال مختلفة يختلف معها الحكم تحليلاً وتحريما، فمن ذلك:

حين القضاء أو بعده :يجوز للمدين أن يرد أكثرَ أو أفضلَ من الدين الذي في ذمته، إذا كان هذا إحسانًا منه، واعترافًا بالجميل، من غير شرط، فعن أبي رافع رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ استسلف من رجل بَكْراً، فقدمتْ عليه إبلٌ من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع رضي الله عنه أن يقضي الرجل بَكْرَهُ، فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خِيَاراً رَبَاعِيّاً، فقال: أعطه إياه، إنَّ خيار الناس أحسنُهم قضاء [رواه مسلم:١٦٠٠]، فردَّ النبي سنّاً أفضل من السن التي اقترضها.

لكن قبل الوفاء يحرم على المقرض قبولُ هدية المقترض، لأنَّ المقصود بالهدية أن يؤخِّر الاقتضاء، وإن لم يشرط ذلك ولم يتكلَّم به، فإنه بمثابة الربا، فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قال: أتيت المدينة فلقيت عبدالله بن سلام رضي الله عنه فقال: ألا تجيء فأطعمَك سويقاً وتمراً، ثم قال: إنَّك بأرضٍ الربا بها فاشٍ، إذا كان لك على رجل حق، فأهدى إليك حِمْل تِبْنٍ، أو حمل شعير، أو حمل قَتٍّ فلا تأخذه؛ فإنَّه ربا [رواه البخاري:٣٨١٤].

أما إن كانت الهدية ليست بسبب القرض لقرابة بينهما مثلاً، أو كان التهادي بينهما قبل القرض فهي جائزة.

الصورة عن قرب



زارني ذات مرة أحد زملاء العمل السابقين في سمارك يطلب

مني مساعدته للإنتقال إلى شركة أرامكو بعد أن انتقلت إليها، وكان لي زميل أمريكي في عملي الجديد، فحدث أن ذكر زميلي السابق السعودي لزميلي الجديد الأمريكي الأسباب التي دعته إلى أن يسعى للإنتقال، فكان ما ذكره لم يخلو من ذكر لظروف ومساوئ العمل في سمارك مع الثناء على بيئة العمل في أرامكو حيث كان يتطلع للعمل فيها.

بعد أن استمع زميلي الأمريكي لكلام زميلي السعودي قال: إن العشب في الجهة الأخرى دائما أكثر اخضراراً ، وبتأمل مقولته هذه فإنه يُفهم منها بأنها تنطبق على الجهتين وعلى من يقف على الجانب في كل جهة، ذلك لأن كلاً منهم لم يرى الجهة الأخرى إلا عن بعد و من الخارج فقط ولم يرى الصورة من الداخل وعن قرب كما رأى جهته بمحاسنها ومساوئها، حتى إذا انتقل إلى الجهة الأخرى ورآها رأي العين وجدها إما كما تخيلها أو خلافاً لما كان يأمل.

و بالرغم من كون هذا المثل خاصاً ببيئة العمل، إلا أنه ينطبق على كافة مناحي الحياة بما في ذلك الأفراد والمجتمعات والدول، فلكل منهم ظاهر يظهر للعيان عن بعد وباطن لا يمكن رؤيته إلا عن قرب، ولكن غالباً ما يتجه تركيز النظر على الظاهر فقط، وقليل ما يتجاوز ذلك ليغوص في الأعماق ليكتشف ما وراء الصورة الظاهرة.

ومن يعتقد بأنه يعرف شخصاً أو مجتمعاً أو أي شيء آخر من خلال الصور الظاهرة له من بعيد فإنه لم يعرفه حق المعرفة، فعلى سبيل المثال: إن مظهر التديُّن على بعض الرجال لا يعني

بالضرورة أن حقيقتهم تتوافق مع ما يظهر منهم، بل قد يكون بعض المقصرين في مظهرهم الديني أفضل منهم عند الله وعند خلقه، وهذ ليس تقليلاً من شأن الالتزام بالمظهر الديني ولا دعوة لعدم الاهتمام به ولكنه مما قد نصادفه في الحياة، فقد قيل في مثل ذلك:

صلى المصلي لأمر كان يطلبه ... لما انقضى الأمر لا صلى ولا صاما

وقد ورد في الأثر بأكثر من رواية قصة عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ومن ذلك ما ورد عن أبي القاسم البغوي بإسناد حسن، والخطيب في الكفاية، وغيرهم عن خرشة بن أبحر قال: شهد عند عمر بن الخطاب رجل شهادة، فقال له: لست أعرفك ولا يضرك أن لا أعرفك فأت بمن يعرفك. فقال رجلٌ من القوم: أنا أعرفه. فقال بأي شيء تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل. قال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال : فمعاملك في الدينار والدرهم اللذين يستدل بهما على الورع؟ قال: لا. قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: لست تعرفه. ثم قال للرجل: ائت بمن يعرفك.

وقد تخلق الصورة عن بعد تصوراً خاطئاً سواءاً بحسن الظن بمن هو مقصود بهذا التصور كما تقدم، أو بسوء الظن فيه كما حذرنا منه رب العالمين جل جلاله بقوله في الآية (١٢) من سورة الحجرات : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ.

خلاصة القول

لا تطلق الأحكام على الناس والمجتمعات والدول دون تحقق وإنما من خلال تجارب محدودة خضتها مع بعض الأشخاص أو المواقف التي واجهتها والتي مهما بلغت لن تبلغ النسبة المعبرة عن الحقيقة.

الفزعة

الفزعة (النصرة)

قال تعالى: وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام : ٣٨]، صدق الله العظيم، وبالفعل فإن من يتدبر ويتفكر في مخلوقات الله من الطير والحيوان يجد فيها من المحاكاة مع عالم البشر الكثير والكثير.



وليست المشاعر حكراً عليك أيها الإنسان!

وقد درس الخبراء المهتمون بالحياة الفطرية كيف تعيش الفصائل المختلفة من الحيوان والطير والحشرات وكل ما يدب على وجه الأرض، فوجدوا الكثير مما يدعو الإنسان للتفكر في عظمة الخالق عز وجل، حيث وجدوا أن كثيراً من تلك المخلوقات تعيش ضمن نظام اجتماعي تحكمه قوانين، و يمكن لها أن ترسم الخطط وتتحدث فيما بينها بلغات لا نفهمها كما ذكر ذلك رب العالمين في محكم التنزيل في قوله تعالى : تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا [الإسراء:٤٤] .

وما أكثر المشاهد والأحداث التي سجلتها عدسات الكاميرات والتي يرقى بعضها لأن يكون قصة أو رواية في إحدى المجالات الأدبية: الرومنسية أو الدرامية أو الأكشن، والحديث يطول ولكن ما يهمنا هنا هو أحد تلك المشاهد التي وثقتها عدسة الكاميرا والذي يعبر عن مدى التعاون بين بني الجنس الواحد (أبناء العمومة) للدفاع والهجوم (فزعة) أي نصرة بعضهم لبعض.

ففي أحد المشاهد تعاون قطيع من الضباع وشنوا هجوماً على أسد، ومن المعلوم بأن الأسد وهو ملك الغابة أقوى بكثير من الضبع، ولكن كما يقال: فإن الكثرة تغلب الشجاعة، حيث كانت الضباع كثيرة، تكر وتفر، فهذا يُشاغله من الأمام وهذا يُهاجمه من الخلف وآخرين عن يمينه وشماله، وأمام هذا الهجوم المنسق والعدد الذي يفوق قدرة الأسد عجز الأسد عن الدفاع عن نفسه

ولم ينجح في الهروب من ساحة المعركة حيث لم تترك الضباع له فرصةً للهرب كي ينجو بنفسه، وفي أثناء هذا الوضع البائس واليائس بالنسبة للأسد وإذ بأسدٍ آخر يظهر بالقرب من ساحة المعركة، وما إن رأى أبن عمه وما هو فيه من شدة وقد تكالبت عليه قبيلة الضباع حتى أخذته الحمية وفار الدم في عروقه وقال هزلت واندفع نحو أرض المعركة للفزعة لابن عمه الأسد فانسحبت الضباع وفرت من ساحة القتال.



لقد كان المشهد أعلاه كما سجلته عدسة الكاميرا مشهداً يدعو للتفكر والتدبر في صنع الخالق الذي علّم الحيوان كيف يفكر ويدبر فيضع الخطط الحربية المدروسة التي تأخذ بعين الاعتبار توازن القوى والتوقيت المناسب للهجوم والانسحاب، بالإضافة إلى الحميّة والتعاون على الخير والشر، ومن هنا يتضح وجه من وجوه المحاكاة بين عالم الحيوان وعالم البشر، غير أن الإنسان مخلوق مكلف بعكس الحيوان الذي مهما بلغ من درجات الذكاء يبقى ذكائه نابع من الغريزة، بعكس الإنسان الذي حباه الله بعقل مُكلَّف فينبغي أن يقوده عقله فيفرق بين الحق والباطل، لا غريزته كما في عالم الحيوان.

وبحكم أن الإنسان أحد الثقلين الذيّن ميزهما الله على سائر المخلوقات بالعقل المكَلَّف ينبغي عليه أن يفرق بين الخير والشر وأن تكون فزعته لإخوته وبني عمه وجماعته وجنسه منضبطة بالضوابط الشرعية التي بيَّنَها لنا دين الإسلام كما في قول رسول الله ﷺ: انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ [رواه البخاري].

أما ما يقوم به بعض البشر من نصرة أخيه على ظلمه فإنه من الإفساد في الأرض، ولنا في قصة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام عبرة، حيث وجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من أنصاره والآخر من عدوُّه، فلما طلب الذي من أنصاره فزعته لبى موسى النداء فوكز الآخر فقتله ، قال تعالى: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ [القصص:١٥]، بعدها أدرك موسى أن هذا الفعل كان من عمل الشيطان.

ندم موسى عليه السلام على ما فعل فـ : قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) ، ولما تكرر الأمر من الرجل الذي من شيعة موسى عليه السلام، لم تأخذه الحمية هذه المرة وإنما حكَّم عقله وانتقد الرجل على تصرفه كما في الآية الكريمة: فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي

اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ (١٨)، وهنا بين الرجل الآخر ما معنى أن يفزع موسى عليه السلام لمن هو من شيعته دون وجه حق كما في قوله تعالى: فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) .

وإن من أسوأ أنواع الفزعة التي يؤسف لها في أيامنا هذه أن تهب القبيلة وتتداعى لدفع الأموال الطائلة وتستحث الوجهاء من كل حدب وصوب لإنقاذ قاتل متعمدٍ من القصاص، لا لشيء إلا لانتسابه لهذه القبيلة مما يشجع ضعاف النفوس على الاستهتار بأرواح الناس، وإنه لمما يؤسف له أشد الأسف أن لا نشاهد مثل هذه الفزعة في المواقف الإنسانية كسداد ديون المعسرين أو دفع قيمة علاج المرضى وإن كانوا صالحين ومن أبناء القبيلة ذاتها التي هبت لإنقاذ رقبة القاتل من القصاص !!! .

واعتصموا ...

بينما كنت أتصفح إحدى منصات التواصل الاجتماعي، وعلى الرغم من عدم رغبتي في الخوض أو الدخول في جدال مع أي طرف، إلا أنني كمواطن مسلم عربي سعودي (حيث أن السعودي والعربي والمسلم كلهم ينتمون لأمة واحدة ودين واحد)، إلا أن ما لفتت نظري ودعاني للكتابة حول ما شاهدته

هي تلك التعليقات التي يندى لها الجبين والتي لا يمكن أن يُطلق عليها غير أنها "حرب إلكترونية" بين العرب وغير العرب من المسلمين، وأحيانا بين العرب أنفسهم ممن ينتمون لدول شقيقة، وفي أحيان أخرى حتى بين أبناء البلد الواحد لاختلاف انتماءاتهم العرقية أو المناطقية.

وقد قال الله تعالى: لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء : ١١٤]

كما قال تعالى: ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [النحل : ١٢٥]

وأنا هنا لن أتحدث عن أسباب تلك الحروب، ذلك لأنني لا أعلم عن صحة ما يتم طرحه من عدمه، شأنه شأن أي موضوع لا أملك معلومات عنه تجعلني أدلي بدلوي فيه امتثالاً لأمر الله عز وجل بأن نتثبت عندما يأتينا أحد بخبر كي لا نكون من النادمين، كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:٦].

وتشتعل أغلب تلك الحروب بين أطرافها حول أمور وقضايا هي بالنسبة لي ماضٍ قد ذهب وانتهى، والحكمة تقتضي أن نتعلم من الماضي لا أن نعيش فيه، ونحمل جيل الحاضر أخطاء الماضي ونحن نعلم قول الله تعالى: مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي

لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء:١٥]

ولنا في تجربة الأوروبيين اليوم عِظة حيث كانت تدور بينهم الحروب الطاحنة، بل قد اندلعت بينهم حربين عالميتين أتت على الأخضر واليابس وقضت على عشرات الملايين من البشر، وعندما قرروا أخذ الدرس من ماضيهم تعلموا أن التفاهم والتقارب خيرٌ لهم من الحروب فنتج عن ذلك قيام "الاتحاد الأوروبي" على الرغم من أنهم لا يجمعهم عرق ولا لغة ولا حتى دين فهم ينقسمون بين مذاهب كانوا يتقاتلون بسببها حتى وقت قريب.

فتبارك الله القائل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات:١٣]

وإني لأستغرب كيف لو لم يكن هؤلاء المتراشقون بمثل هذه العبارات ينتمون لأمة واحدة تؤمن بدينٍ واحدٍ يحثهم على الترابط والتواد فيما بينهم !، قال تعالى: إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ [الأنبياء:٩٢]

ومما لا شك فيه أن هذا الدين العظيم "الإسلام" يحثنا على حسن التعامل مع غير المسلمين فما بالكم بالمسلمين وحقوق المسلمين حيث نزلت فيها آيات محكمات و وردت فيها أحاديث عظيمة، فأين نحن من ديننا وتعاليمه السمحة؟! ، كما في قوله تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا

مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [آل عمران:١٥٩]، فإذا كان هذا هو خطاب الله لخير البشر (نبيّه الكريم ﷺ) في محكم التنزيل، فما بالك بمن هم دونه من عامة المسلمين.

وللأسف الشديد وقع الفرقاء في تعليقاتهم في مخالفةِ جملةٍ من الآداب الإسلامية التي أمرنا الله بها في علاقاتنا كمسلمين كي لا يحدث بيننا ما يكون سبباً للعداوة والبغضاء، كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات:١١]

وانطلاقاً من مبدأ فرق تسد فإن أعداء المسلمين يحرصون كل الحرص على زرع الفتنة وبث الفرقة بينهم، كما كان حالهم قبل الإسلام عندما كان اليهود في المدينة المنورة يُذكون نار الفتنة والفرقة بين الأوس والخزرج، و قد أمرنا الله جل وعلا بالاعتصام بحبله تعالى ونهانا عن الفرقة فقال عز من قائل: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران:١٠٣].

فلا نكن معول هدمٍ في يد أعداء الأمة يستخدمونه لإشعال نار الفتنة بين المسلمين، ولا نجعل التباين بيننا في الأعراق واللغات

وغيرها سبباً للفرقة، فقد ورد في الأحاديث الشريفة ما ينهانا عن ذلك، ومنها قوله ﷺ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَأَبَاكُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّكُمْ وَاحِدٌ، لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إلا بِالتَّقْوَى.

كما قال ﷺ: كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

حتى أن رسول الله ﷺ قال لأشرف الناس وهم أهل بيته: يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا، يا عباس عم رسول الله اعمل فإني لا أغني عنك من الله شيئًا، لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل.

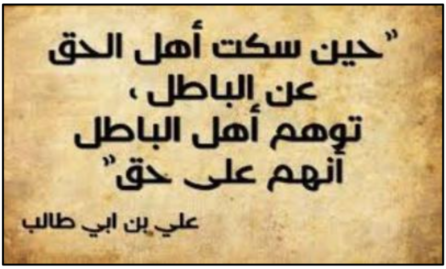
كما وردت عدة آيات في القرآن الكريم بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة لتوجه أفراد الأمة الإسلامية لما يعينهم كي يكونوا كالبنيان المرصوص، فقال تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال:٤٦].

كما قال تعالى: وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الحجرات:٩].

ختاماً: اسأل الله العلي القدير أن أكون قد وُفقت في البيان

والتبيان من دون أن أكون طرفاً في الخصومة بين الفرقاء في حروبهم الإلكترونية وغير الإلكترونية.

وفي ختام هذا الجزء من سلسلة "مقالات هادفة"
أسأل الله عز وجل أن يجعل فيها الفائدة والمنفعة



لا يحزنك أنك فشلت
مادمت تحاول الوقوف على قدميك من جديد

نشاهد في كل يوم الكثيروالكثير من الأحداث والمواقف من واقع الناس والحياة، ويختلف الناس حيال تلك المشاهد باختلاف اهتماماتهم ومقاصدهم وقدراتهم، فمنهم من تمر عليه كأحداث عادية لا تسترعي اهتمامه ولا يتوقف عندها ليتأملها، ولكن المتأمل في واقع الناس والحياة يجد الكثير مما يستدعي التوقف عنده ليتأمله ويحلله فيستخلص منه الفوائد والعبر.

وهذه بعض من مقالاتي التي عبرت بها عن بنات أفكاري وأحببت أن أشارك بها قرائي الكرام، وقد ارتأيت جمع ما كتبته من مقالات تحليلة لهذا الواقع وحفظها في سلسلة كتيبات اسميتها "مقالات هادفة" على أمل أن يجد فيها القراء الكرام ما يمكن أن يُستفاد منه وأن يجعلها الله نافعةً ولا يحرمني أجرها.

وهذا هو الجزء الأول من هذه السلسلة



المهندس
ابراهيم آل كلثم
الصيعري

- حاصل على درجة الماجستير في هندسة الكمبيوتر من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن الظهران، المملكة العربية السعودية ودرجة البكالوريوس في علوم الحاسب من جامعة تلسا، أوكلاهوما، الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة للعديد من دورات الإدارة و بعض مواضيع الكمبيوتر ذات الصلة بمجال العمل.

- ولدت في عام 1379هـ بمدينة ليلى بمحافظة الأفلاج ونشأت وترعرعت في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت.

- نشأت و الحمد لله على حب المبادئ والقيم الإنسانية أحب الصدق والأمانة وأكره الكذب والنفاق كما نشأت على حب العلم والثقافة العامة والاطلاع على ثقافات الشعوب.

- أهوى الشعر الجميل والحكمة والحماسي .. غير أني لست بشاعر .

- تنقلت بين العمل ومقاعد الدراسة وحيثما تواجدت تركت بصمةً جميلةً حصدت على إثرها خطابات شكر وتقدير ولله الحمد .

- لي عدة مشاركات على صعيد العائلة والعمل والوطن .

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٢٧٩٥
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٦٣٣٤-٦